جامعـة عين شمس
كليـة البنات

هربرت سبنسر وفلسفة التطـور

لنيل درجة الماجستير فى الاداب (فلسفة)

اعـــداد
سـامية عبد الرحمن عبد السلام أحمد
المعيدة بقسم الفلسفة ـ كلية البنات : جامعة عين شمس

اشراف
الاستاذة الدكتورة / نازلى اسماعيل حسين
رئيسة قسم الفلسفة ـ كلية الاداب : جامعة عين شمس

القـاهرة ١٩٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون »

(التوبة ١٠٥)

صدق الله العظيم

شـــكر وتقـــدير

أود فى بداية هذا البحث أن أقـــدم شـكرى وتقديرى لاستاذتى الفـاضلة الدكتورة نازلى اسماعيل حسين لقبولها الاشراف على رسالتى ، والتى كان لسيادتهـا الفضل فى اختيار الموضوع كما أود ان أسجل اعترافى بالجميل لسيادتها لمـا لهـــا من فضل كبير ومساعدة هائله فى جميع مراحل ودراسة الموضوع منذ أن كان فـكرة الى أن أصبـح رسالة .

وبفضل توجيهاتها المستنيرة وارشاداتها القيمة أمكن لهذا العمل أن يخرج الى حـيز الوجود .

كما أتقدم بالشكر الى كل من تعاون معى فى انجاز هذا العمل المتواضع .

سـامية عبد الرحمن

المحتويات

الموضوع	الصفحة
شكر وتقدير	أ
مقدمة	ب

الباب الأول : المدخل الى فلسفة سبنسر

الفصل الأول : حياة الفيلسوف الفكرية	١
الفصل الثانى : التوفيق بين العلم والدين	١٩
الفصل الثالث : الأفكار الدينية المجردة	٣٧
الفصل الرابع : الأفكار العلمية المجردة	٦٤
الفصل الخامس : نسبية المعرفة	٨٢

الباب الثانى : الفلسفة التطورية

الفصل الأول : دعائم فلسفة سبنسر التطورية ...	٩١
الفصل الثانى : التطور	١٠١
١ ـ أصل التطور	١٠٢
٢ ـ نظريات التطور	١٠٤
٣ ـ سبنسر والتطور	١١١
٤ ـ المبدأ التطورى وقوانين التطور ...	١١٤

٥ ـ تفسير التطور ١٣٠

الفصل الثالث : أشكال التطور ١٣٥

١ ـ التطور الفلكي ١٣٦

٢ ـ التطور الجيولوجي ١٣٦

٣ ـ التطور العضوي ١٣٧

٤ ـ تطور الحياة ١٣٩

٥ ـ تطور العقل ١٤٢

٦ ـ تطور المجتمع ١٤٤

الفصل الرابع : تطور الفنون ١٤٦

أ ـ (اللغة ـ الرسم ـ النحت ـ
العمارة ـ الشعر ـ الرقص ـ
الموسيقى) .

ب ـ التطور الجمالي بين سبنسر
وشيلر (نظرية اللعب) ١٥٨

الباب الثالث : الفلسفة العملية

الفصل الأول : علم الاجتماع عند سبنسر ١٦٤

ـ سبنسر وكومت ١٦٥

ـ التطور الاجتماعي ١٦٩

ـ المماثلة العضوية ١٧٢
ـ طبيعة المجتمع ١٧٩
ـ مكونات المجتمع ١٨١

الفصل الثاني : الفلسفة السياسية ١٨٤
ـ العلاقة بين السياسة والمجتمع ... ١٨٤
ـ تصنيف المجتمعات ١٨٧
ـ نظرية سبنسر في الحكومة ... ١٩٥
ـ حدود تدخل الحكومة ... ١٩٨
ـ نظرية سبنسر الاقتصادية
بوصفها امتدادا للنظرية
السياسية ٢٠٦

الفصل الثالث : الاخلاق التطورية عند سبنسر ... ٢٠٨

الباب الرابع : رؤية نقدية جديدة للتطور

الفصل الأول : التطور بين هربرت سبنسر
وهنري برجسون ٢٣٢
ـ ثورة على المادية ٢٣٢
ـ طبيعة التطور البرجسوني
(الديمومة) ٢٣٧

- الفرق بين الزمان الآنى والزمان المستمر ٢٣٩
- الفرق بين المادة الجامدة وعلم الحياة ٢٤٥
- نقد المذهب الآلى والمذهب الغائى ٢٤٥
- اتجاهات التطور ٢٥٦

الفصل الثانى : مناقشة وتقييم لآراء سبنسر ... ٢٧٠
النتائج العامة للبحث ٢٩٤
المصطلحات العلمية والفلسفية التى وردت بالرسالة ... ٣٠٧
المراجع ٣١٧

* * * * * * * * *

* * * * * *

* * * *

* * *

*

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الكريم ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد .

بدأت فكرة التطور تظهر فى الفلسفة ، وكذلك فى العلوم الخاصة فى العقد السادس من القرن التاسع عشر ، وهو العقد الذى شهد وفاة هاملتون ، وبلوغ مل أوج شهرته .

ولقد كان وجود فكرة التطور فى الجو فى أواسط القرن التاسع عشر هو الذى جعلها تظهر فى آن واحد من عدة مصادر مستقلة ، وتهب كالعاصفة على الحياة العقلية المعاصرة لها بأكملها مكتسحة معها كل شئ ، ففى ميدان الفلسفة أتى بها هربرت سبنسر ، وفى ميدان العلوم الخاصة أتى بها دارون .

وعلى الرغم من أن سبنسر كان أول من عرض فكرة التطور علنا ، فقد كان تشارلز دارون (١٨٠٩ ـ ١٨٨٢) هو الذى جعل لها تأثيرها الأمثل عن طريق كتابه " أصل الأنواع " ، فقد كان هذا الكتاب ـ الذى كان نقطة تحول فى ميدانه بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ـ من انتاج عبقرية ضخمة تتميز بقدرتها على الجمع على نحو مزيد بين دقة الملاحظة والغور فيها ، وبين الولاء المطلق للواقع والقدرة على التركيب الذهنى الابداعى .

ولم يكتف هذا الكتاب بالاشارة المبهمة لمذهب التطور ، وبأن الانسان قد تطور على نحو ما من أجناس أوطأ منه ، ولكنه شرح الفكرة شرحا مفصلا تؤيده الأمثلة تأييدا قويا ، وأطنب

فى الطريقة التى يتم بها التطور بواسطة الانتخاب الطبيعى ، وبقاء الأجناس القوية الموهوبة فى تنازع البقاء .

وما أن ثبتت الداروينية أقدامها فى المجال البيولوجى ، وأصبحت مثارا للجدل فى جميع أرجاء العالم ، حتى لم يعد من الممكن استحالة ذيوع النظرية العامة المتضمنة فيها بشأن الحياة والكون ، وأصبح زحفها الظافر أمرا مؤكدا .

فقد كانت تمثل مذهبا طبيعيا Naturalism من حيث أنها جعلت العوامل دون الانسانية أهم من العوامل الحضارية .

ومذهبا بيولوجيا Biologism من حيث أنها عبرت عن المسائل الفلسفية من خلال المقولات والنظريات البيولوجية ، وكانت مذهبا تطوريا Evolutionism من حيث أنها نظرت الى الأشياء كلها على أنها جزء من عملية التطور الصاعد ، ومذهبا آليا Mechanism لأنها فسرت الظواهر الغائية من خلال العلل الآلية وقوانينها .

وهكذا ، لم يكد ينقضى عشرون عاما - بعد نشر كتاب أصل الأنواع - حتى أصبح التطور حديث العالم أجمع ، وأصبحت الفلسفة التطورية هى الفلسفة الشعبية للمثقفين وأنصاف المثقفين ، وغيرهم على السواء .

ثم جاء سبنسر فتناول فكرة التطور بالتطبيق على كل مناحى التفكير والدراسة ... وكما أن الرياضة سادت الفلسفة فى القرن السابع عشر حيث أنجبت للعالم ديكارت وسبينوزا وليبنتر ، وبسكال ، وكما أن علم النفس ساد الفلسفة فى القرن الثامن عشر ممثلا فى بركلى وهيوم وكانت ، فقد كان علم الحياة فى القرن التاسع عشر هو النزعة السائدة ، نلمسها فى شلنج ،

و شوبنهور ، و سبنسر ، و نيتشة ، و برجسون .

اذن تمثل المذهب **التطوري** الطبيعي في المجال الفلسفي على وجه الخصوص في مذهب هربرت سبنسر (١٨٢٠ ـ ١٩٠٣) وهو المذهب الذي وصلت به تلك الفلسفة التي ظلت على ولائها للتراث القومي الانجليزي الى القمة ، و بلغ بها القرن التاسع عشر خاتمة مطافه ، و نقطة اكتماله .

و لقد سيطر سبنسر على الميدان الفلسفي في انجلترا في الأعوام الثلاثين الأخيرة من القرن التاسع عشر على نفس النحو الذي سيطر به مل ، و هاملتن ، و بنتام ، و ريد ، و هيوم على هذا الميدان في أيامهم ، و هو واحد من الفلاسفة الانجليز القلائل الذين ذاعت شهرتهم خارج انجلترا أثناء حياتهم ، بل لقد اكتسب شهرة عالمية فذاع أسمه في روسيا و الصين ، و اليابان و أوربا و أمريكا .. ففلسفته كانت تعبيرا ظهر في أوانه عن الأفكار السائدة في أيامه .

و قد شغل هربرت سبنسر بمسألة التطور ، حين قرأ كتاب "ليل" ، Lyell "في طبقات الأرض" الذي كان في صفحاته الأولى يعارض نظريات لامارك ، و خرج من دراسة علم الاجنة بأن التطور هو من **المتجانس** المتنوع ، و أنه قانون الطبيعة .

و أول عرض قام به لفلسفة التطور ظهر في مقال عنوانه "التقدم : قانونه و سببه ١٨٥٧" ، فذكره داروين في مقدمة كتابه "أصل الأنواع" بين الذين سبقوه الى نظريته .

ثم رأى أن نسبية المعرفة على طريقة كانت و هاملتون و منل تسمح له بافساح مجال للدين ، الى جانب مجال العلم ، و بناء فلسفة شاملة .

فشرع يدون كتبه الكبرى فى الفلسفة التركيبية ، حيث جمع علوم العصر كلها مؤلفة فى مذهب منسق حول مبدأ التطور.

وقد كان سبنسر تجريبيا أصيلا فى تعطشه الدائم الى الوقائع والى تنظيمها ، غير أن رغبته فى تشييد مذهب ، وقدرته العجيبة على ذلك ،كانت هى المسيطرة على كل شئ ، فقد كان يبذل جهدا لا ينقطع فى التجريد ، والتصنيف والتصميم والاستنباط ، ويتحرك الى الأمام نحو توحيد أكثر تجريدا لها ، حتى وصل الى النقطة التى استطاع فيها أن يلخص الكون كله فى صيغة واحدة ، وكانت النتيجة مذهبا كان فيه مكانا لكل شئ ، مذهبا بلغ تخطيطه من الجرأة ، وتنظيمه من البراعة والدقة حدا لا يملك المرء معه الا أن يشعر نحوه بالاعجاب مهما كان موقفه النهائى منه.

ولذلك فلقد رأينا أهمية دراسة فلسفة التطور عند هربرت سبنسر كما عرضها فى كتبه الفلسفية المختلفة ، خاصة ، وأن المكتبة العربية تفتقر لدراسات تخصصية عنه.

ولذا أعتمدت خطة سيرنا فى دراسة هذا الموضوع على قراءة نصوص سبنسر نفسها كما عرضها فى مؤلفاته بلغتها الأصلية، وقمنا بالمقارنات بينه وبين غيره من الفلاسفة ، ولكن بالقدر الذى لا يحيد بنا عن موضوعنا الأصلى ، أو يفسد منهجنا فى الدراسة.

ولقد كان لهذه الدراسة قيمة كبيرة فى بيان الكثير من النواحى الهامة التى كانت تخفى علينا من فكر هذا الفيلسوف من ناحية ، ولما تمتاز به فلسفة التطور عامة من أهمية بالغة فى تاريخ الفكر الانجليزى من ناحية أخرى.

وقد قمنا بتقسيم الرسالة الى أربعة أبواب وخاتمة .

ينقسم الباب الأول الى خمسة فصول ، يتناول الفصل الأول منها حياة الفيلسوف الفكرية لالقاء الضوء على المناخ الفكرى الذى عاش فيه .

أما الفصل الثانى فيعرض لقضية التوفيق بين الفلسفة)و الدين أو بين العلم و الدين .

أما الفصل الثالث و الرابع فيتناولا الأفكار الدينية ، و العلمية المجردة .

و الفصل الخامس و الاخير يتناول نظرية نسبية المعرفة .

أما الباب الثانى فينقسم الى أربعة فصول : يتناول الفصل الأول منها دعائم فلسفة سبنسر التطورية بالاجمال .

و الفصل الثانى يعرض للتطور (أصله — نظرياته — قوانينه — تفسيره) .

و يعرض الفصل الثالث لاشكال التطور .

أما الفصل الرابع فيتناول نظرية التطور فى الفنون .

و ينقسم الباب الثالث الى ثلاثة فصول تتناول الاجتماع ، و السياسة ، و الأخلاق على التوالى عند سبنسر .

أما الباب الرابع و الأخير ، فيشتمل على فصلين ، يعرض الفصل الأول لرؤية جديدة للتطور عند برجسون ، و مقارنة بينه و بين التطور عند سبنسر .

و الفصل الثانى نقدم فيه تحليل و تقييم لآراء سبنسر .

ثم الخاتمة ، و تأتى بأهم النتائج العامة للبحث .

و حسبى أننى قدمت عن " سبنسر " دراسة لوجبة فكرية ،

يمكنني أن أحدد بها معالمه كفيلسوف ، وصاحب فكرة ، والمس بها الخطوط العريضة لمنهجه .

وأدعو الله أن أكون قد أصبت بعض التوفيق في بحثي هذا ، وأكرر شكري لاستاذتي الفاضلة الدكتورة نازلي لمساعدتها وارشاداتها ، وتوجيهاتها القيمة ، والتي بفضلها خرج هذا البحث الى حيز الوجود .

والله المستعان .. أسأله التوفيق والسداد ،

البـــاب الاول

المدخل الى فلسفة سبنسر

الفصـــل الاول : حيـــاة الفيلسوف الفـــكرية .

الفصـــل الثانى : التوفيق بـــين العـــلم والدين .

الفصـــل الثالث : الافـــكار الدينية المجـــردة .

الفصـــل الرابع : الافـــكار العـــلمية المجـــردة .

الفصـــل الخامس : نسبية المعـــرفة .